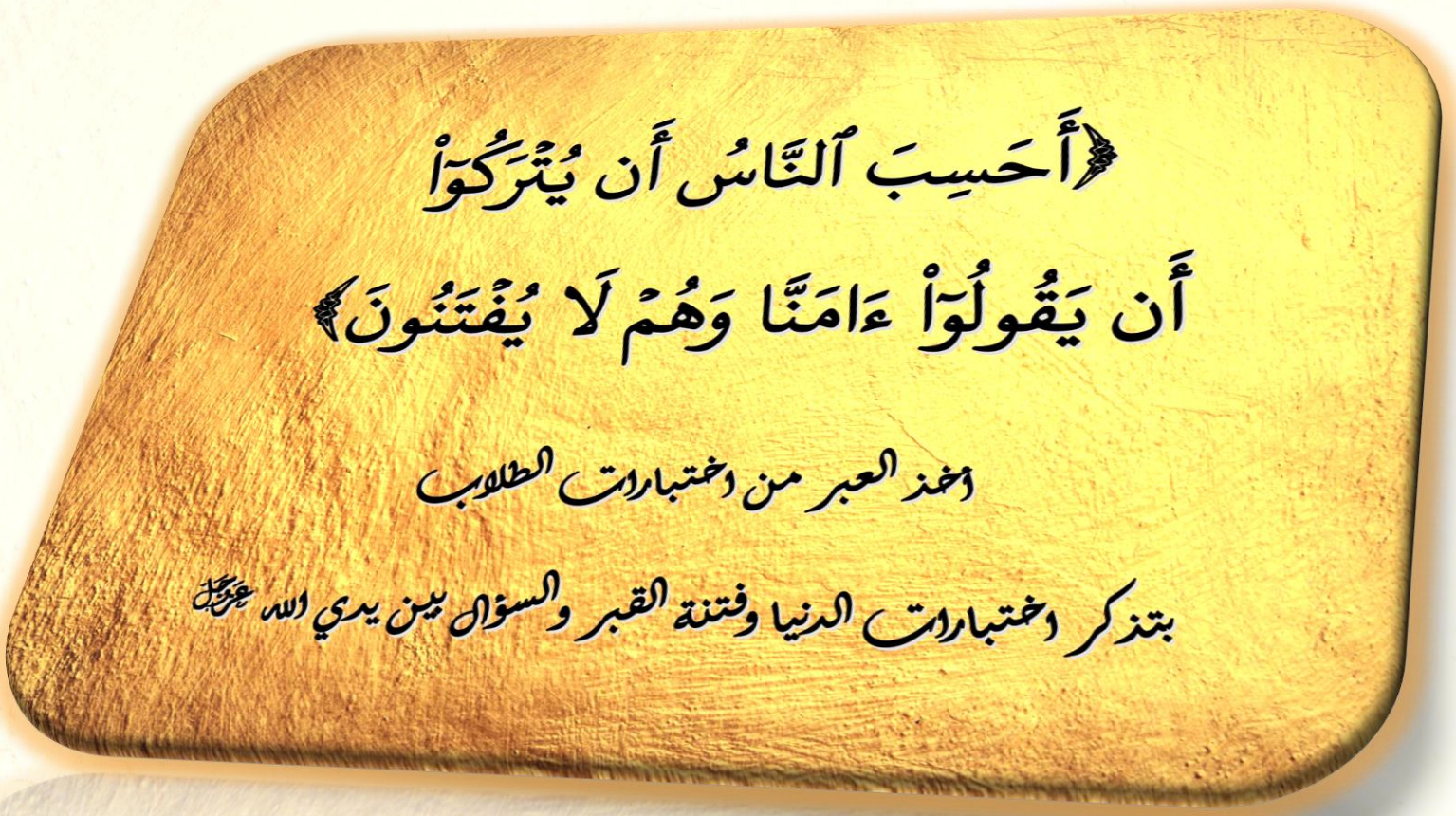

خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ١٧ رجب ١٤٣٥ بالمدينة النبوية

[الخطبة الأولى]

الحمد لله، الحمد لله الرحيم الغفار، شديد العقاب الجبار، لم يجعل الدنيا دار قرار، وإنما جعلها دارًا للاختبار، ليتميّز الأبرار من الفُجّار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد القهار، شهادةٌ من حقّقها فاز بالجنة ونجا من النار، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله النبي المختار، من لزم سنته كان من الأخيار، صلى الله عليه وسلم ما أظلم ليل أو أضاء نهار، ورضي الله عن آله الطيبين الأطهار، وعن صحابته الكرام الأبرار، أما بعد فيا عباد الله:

إنْ هي إلا أيام قلائل ويتوجّه الطلاب والطالبات إلى الاختبارات، وإن البيوت في هذه الأيام لتستعدّ لتلك الاختبارات، وإنه لأمر محمود، أسأل الله ﷻ أن يوفق الطلاب والطالبات، وأن يحقّق مراد أهليهم فيها.

وإن العبد المؤمن -يا عباد الله- يعتبر بأمور الدنيا لِيُصَحِّح مسيره إلى الله ﷻ، ولِيُنَشِّطَ نفسه في عبادة الله، وإن العبد -يا عباد الله- ليُختَبَرُ في الدنيا، ويُختَبَرُ في قبره، ويُسأل بين يدي الله ﷻ.

أما في الدنيا: فإن الله ﷻ أوجدنا فيها ليختبرنا: هل نوحّده ونعبده ﷻ، أو نكون على غير هذا؟ وهل نكون في إيماننا من الصادقين، أو نكون من الكاذبين؟ ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت:١-٣].

وبعث الله ﷻ الأنبياء بالشرائع، وجعل أصول دينهم واحدة، وجعل لكلٍّ منهم شِرعة ومنهاجًا، ليبتلي العباد فيما آتاهم من الشرائع، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْۖ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِۚ﴾ [المائدة:٤٨].

وأمرنا سبحانه ونهانا ليبتلينا: هل نعبده سبحانه بإخلاص ومتابعة لرسول الله ﷺ، أم نتّبع أهواءنا ونقع في البدع؟ ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۗ﴾ [هود:٧].

وابتلى العباد بالعباد، فجعل أحوالهم مختلفة،

- فهذا غني وهذا فقير،

- وهذا صحيح وهذا مريض،
- وهذا معافى وهذا مبتلى،
- إلى غير ذلك من أنواع الأحوال،

لأن الله ﷻ أراد ن يبتلي بعضنا ببعض، أَنَصبِر على هذا؟

- فابتلى الغني بالفقير: هل يعطيه حقه، وهل يُقَدِّره ويحترمه؟
- وابلتى الفقير بالغني: هل يحسده على ما آتاه الله من النعم، أم يكون على غير هذا؟
- وابتلى المعافى بالمبتلى: هل يَحقِره، أم يَشكُر الله على أن عافاه، ويسأل الله العافية لأخيه؟
- وابتلى المبتلى بالمعافى لِيَرَى: هل يصبر المبتلى على بلواه، أم يقول: لِمَ لا أُعافى مثل فلان؟

الله ﷻ شاء أن يختبر العباد بعضهم ببعض، والله ﷻ إن شاء رزقنا الأموال ورزقنا الأولاد، ليبتلينا فيهم: هل نلزم شرع الله في أموالنا، وهل نلزم شرع الله في أولادنا، أم نكون على غير ما يحب الله ﷻ؟

الله جعل الدنيا لنا دار اختبار نُختَبر فيها، والحساب والجزاء إنما هو بين يديه ﷻ.

وأما في القبر –وما أدراك ما القبر!– تلك الحفرة الضيّقة التي قطّعت قلوب الصالحين، كان عثمان بن عفان –رضي الله عنه وأرضاه– إذا وقف على قبر يبكي حتى يَبُلَّ لحيته، فقيل له: تَذْكُرُ الجنة والنار ولا تبكي، وتبكي من هذا؟! فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينجُ منه فما بعده أشدّ منه».

إن العبد المؤمن –يا عباد الله– إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء، بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، ومعهم كفن من أكفان الجنة، وحَنوط من حَنوط الجنة، فيجلسون منه مد بصره، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من ربك ورضوان، فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيّ السقاء، فيأخذها ملك الموت، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، بل يأخذوها، ويجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحَنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وُجِدَت على وجه الأرض، فَيَعرُجُون بها إلى السماء، فلا يَمُرُّون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن

فلان، يُسَمُّونه بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى يُنتَهى به إلى السماء الدنيا، فيُستفتَح له، فيُفتَح له، فيُشَيِّعُهُ من كل سماء مُقَرَّبوها، حتى يُنتَهَى به إلى السماء السابعة، فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتاب عبدي في علّيّين، ثم أعيدوه إلى الأرض، فإني خلقتهم منها، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم، فتعاد روحه، فيأتيه ملكان، فيقولان: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان: وما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان: وما هذا الرجل الذي بُعِث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان: وما علمك؟ فيقول: قرأتُ كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادي منادٍ من السماء أن صدق، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا من الجنة، فيأتيه من رَوحها وطِيبها، ويُفسَح له في قبره مدّ بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيّب الريح، فيقول: أبشر بما يسرّك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: ومن أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: ربّ أقم الساعة، ربّ أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي وولدي.

وأمّا الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء، سود الوجوه، معهم المُسوح، ثم جلسوا منه مدّ البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله، فتَفَرَّقُ في جسده، فينتزعها كما يُنتَزَع السّفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المُسوح، ويخرج منه كأنتن ريح جيفة كانت على وجه الأرض، ثم يُصعَد به إلى السماء، فلا يمرّ على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأقبح الأسماء التي كان يُسَمَّى بها في الدنيا، حتى يُنتَهَى به إلى السماء الدنيا، فيُستفتَح له، فلا يُفتَح له، ويقول الله ﷻ: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، ثم أعيدوه، فتُعَاد روحه إلى جسده، فيأتيه ملكان شديدا الانتهار، فينتهرانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري! فيقولان: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري! فيقولان: ما هذا الرجل الذي بُعِث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري! -وفي رواية يقول: سمعت الناس يقولوان شيئًا فقلته- فينادي منادٍ من السماء أن كذب، فأفرشوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار، فيأتيه مِن حرّها وسمومها، ويُضَيَّق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثّياب، مُنتِن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: ومن أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك السيء، فيقول: ربّ لا تُقم الساعة، ربّ لا تُقم الساعة.

إنها -يا عباد الله- أسئلة ثلاثة، بيّنها لنا ربنا ﷻ:

- من ربك؟
- وما دينك؟
- وما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟

وإن الجواب عنها -يا عباد الله- لا يكون بحفظها، وإنما يكون بالعلم بها، واعتقادها، والعمل على وِفقِها.

وأما بين يدي الله ﷻ: فإن العبد يُسأل أسئلة عظيمة، يقول النبي ﷺ: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيمَ أفناه، وعن شبابه فيمَ أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، وماذا فعل فيما علم»، وفي رواية: «لا تزول قدما عبد حتى يُسأل عن أربع، عن عمره فيمَ أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، وماذا عمل فيما علم، وعن جسمه فيمَ أبلاه».

إنها -يا عباد الله- ودائع عندنا في الدنيا، سنُسأل عنها بين يدي الله ﷻ.

- العمر -يا عباد الله- وديعة عندنا، نُختبر فيه، ونُسأل عنه بين يدي الله ﷻ، في أي شيء أفنيناه؟
- والشباب والقوة وديعة عندنا، نُختبر فيها، وسنُسأل عنها بين يدي الله ﷻ، فيمَ أبليناها؟
- والمال -يا عباد الله- وديعة عندنا، وسنُسأل عنه يوم القيامة من وجهين:
  - من أين اكتسبناه؟ هل اكتسبناه من حلال، أم اكتسبناه من حرام؟
  - وفيمَ أنفقناه؟ هل أنفقناه في حلال، أو أنفقناه في حرام؟
- وعن العلم الذي تعلّمناه، سواءً سمعناه في الخطب، أو سمعناه في الدروس، أو غير ذلك، ماذا عملنا به؟ ماذا عملنا فيه؟ هل أرضينا الله ﷻ به، وقلنا: سمعنا وأطعنا؟ أم أنّا هَزَلنا الرؤوس، و لم تتحرّك النفوس، و لم نعمل بما علمنا من الخير؟

إنها -يا عباد الله- أسئلة عظيمة قد عَلِمناها، فاتقوا الله عباد الله، فأعدّوا للسؤال جوابًا، واجعلوا الجواب صوابًا.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد فيا عباد الله:

اعلموا أنه ما منكم من أحد إلا سَيُكَلِّمُه ربّه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدّم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدّم، وينظر تلقاء وجهه فلا يرى إلا النار، فاتقوا النار ولو بشقّ تمرة.

عباد الله، إن الناس في حسابهم يوم القيامة بحسب أعمالهم في الدنيا يتفاوتون بفضل الله ﷻ.

- فمن الناس من لا يُحاسَب يوم القيامة أبدًا، وهم السبعون ألفًا الذين يَقدُمون في مقدَّمة أمة محمد ﷺ، فهم يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، وهم الذين لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيّرون، وعلى ربهم يتوكّلون.
- ومن الناس -يا عباد الله- من تُعرَض عليه ذنوبه عرضًا، وهؤلاء يُدني الله ﷻ على أحدهم كنَفه، ويقول: أتذكُر ذنب كذا؟ أتذكُر ذنب كذا؟ حتى إذا قرّره بذنوبه ورأى أنه قد هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم.
- ومن الناس -يا عباد الله- من يناقَش الحساب، ومن نوقش الحساب عُذِّب، كما قال النبي ﷺ: «من حوسب عُذِّب»، فقالت أمّنا عائشة رضي الله عنها: فِداكَ نفسي يا رسول الله! ألم يَقُلِ الله ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق:٧-٨]؟ قال: «يا عائشة، ذلك العرض، من نوقش الحساب هلك»، وفي رواية: «إنّه ليس أحد يُناقَش الحساب يوم القيامة إلا عُذِّب».
- ومن الناس -يا عباد الله- من يُفضَحون على رؤوس الخلائق، فَيُنادَى عليهم بأعمالهم السّيّئة، كالكفّار، والمنافقين، والغادرين، والغالّين من الغنيمة، والمُرائين، فهناك أناس -والعياذ بالله- يجاهرون بالذنوب العظيمة، فيُفضَحون على رؤوس الخلائق، ويُنادَى عليهم بذنوبهم.

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أنّكم في هذه الدنيا لذلك الحساب تُمَهِّدون، ولأنفسكم تَعملون، فاتقوا الله عباد الله، والزموا شرع الله، تسعدوا في الدنيا والآخرة.

يا ابن آدم! يا ابن آدم! أحبِب ما شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه، وكُن كما شئت فكما تَدين تُدان، ومصيرك إلى الله ﷻ.

ثم اعلموا -رحمني الله وإياكم- أنّ الله أمرنا بأمر عظيم شريف، بدأ فيه بنفسه، ثمّ ثنّى بملائكته، فقال -عز من قائل-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقال النبي ﷺ: «من صلّى عليّ صلاة واحدة، صلّى الله عليه بها عشرًا».

فاللهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وسلّم تسليمًا كثيرًا، وارض اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارض اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارض اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارض عنّا معهم بمنّك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهمّ اجعلنا ممّن رضيت أقوالهم وأعمالهم وقبلتها يا رب العالمين، اللهمّ اجعلنا ممّن رضيت أقوالهم وأعمالهم وقبلتها يا رب العالمين.

اللهمّ اجعلنا من عبادك الصالحين، اللهمّ اجعلنا من عبادك الصالحين، اللهمّ اجلعنا من عبادك الصالحين.

اللهمّ أحِبَّنا، اللهمّ أحِبَّنا، اللهمّ أحِبَّنا يا رب العالمين.

اللهمّ قرّبنا من الأخيار وقرّبنا من كل خير يا رب العالمين، اللهمّ باعدنا عن الأشرار وباعدنا عن الشر يا رب العالمين.

اللهمّ ما علمته خيرًا لنا اللهمّ فيسّره لنا يا رب العالمين، وما علمته شرًّا لنا اللهمّ فاكفناه يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربّنا رقِّق قلوبنا لطاعتك يا رب العالمين، اللهمّ رقِّق قلوبنا لطاعتك يا رب العالمين.

اللهمّ اجعلنا من عبادك الأخيار الذين إذا سمعوا قالوا: سمعنا وأطعنا، وإذا ذُكِّروا تذكّروا، وإذا غفلوا تنبّهوا، يا رب العالمين.

اللهمّ اكفنا شرّ أنفسنا والشياطين، اللهمّ اكفنا شرّ أنفسنا والشياطين، اللهمّ اكفنا شرّ أنفسنا والشياطين.

اللهمّ إنّ هذا الجَمع المبارك عباد من عبيدك، قد اجتمعوا في بيت من بيوتك، يرجون رحمتك ويخافون عذابك، اللهمّ فأعطهم ما يرجون اللهمّ وأمِّنْهُم ممّا يخافون، وزدهم من فضلك أضعافًا كثيرة يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربّنا، يا حيّ يا قيّوم، كما جمعتنا في هذا اليوم المبارك، في هذا المكان المبارك، في هذه الفريضة المباركة، اجمعنا ووالدينا ومن نحبّ في الفردوس الأعلى أجمعين.

ربّنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل:٩٠].

فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نِعمه يزدكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥﴾ [العنكبوت:٤٥].